وسائل النهوض بالدعوة والدعاة

الدكتور / محمد عبد العليم العدوى
رئيس قسم التاريخ والحضارة
بكلية اللغة العربية بالمنصورة ـ جامعة الأزهر
وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين مبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. وبعد، فإن وسائل النهوض بالدعوة الإسلامية تتمثل في الأمور الآتية :

أولاً : فقه الداعية لمهمته ودعوته.
ثانياً : طريقة إعداد الدعاة.
ثالثاً : وسائل الدعوة ومناهجها.

أولاً : فقه الداعية لمهمته ودعوته :

إن الدعوة إلى الله من أعظم القربات، وكفاها عزاً وفخراً أنها وظيفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. وهذه المهمة جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ملقاة على عاتق العلماء المخلصين، والدعاة الصادقين في قوله: «بلغوا عني ولو آية» وهذا أرفع أنواع العلم ولذلك قال بعضهم ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

وإن الدعاة يقومون بالتبليغ عن الله، على هدى وصيته إلى رسله عليهم الصلاة والسلام.

ولما كان التبليغ عن الله سبحانه وتعالى، يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه، لم تحصل مرتبة التبليغ إلا لمن اتصف بالعلم والصدق.

يقول ابن القيم: «إذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، هو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات، فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته، وأن يتأهب

له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق، والصدع به، فإن الله ناصره وهاديه، وليعلم المفتي من ينوب في فتواه، وليوقن أنه مسئول غداً موقوف بين يدي الله[1].

وقد بشر الله سبحانه الدعاة إلى الله بالفلاح في قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾. [آل عمران/ ١٠٤]

والأمة الإسلامية هي الأمة التي حملها الله أمانة الشهادة على الأمم الأخرى، وجعلها خير أمة أخرجت للناس بقيامها بالدعوة إلى الله . بالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر. يقول تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله﴾. [آل عمران / ١١٠].

ويقول سبحانه: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾. [البقرة /١٤٣].

وعلى هذا فالأمة المسلمة مسئولة عن هداية البشر ومشهدة، وموقوفة لتحاسب عن تبليغ الرسالة إلى البشرية، كما أن الأنبياء محاسبون.

وفي الصحيح : «العلماء ورثة الأنبياء»[2].

وفي الحديث عن أبي أمامة مرفوعاً . . . أن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر يصلون على معلم الناس الخير.

ويقول ابن القيم عن العلماء: هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدى الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب وطاعتهم أفرض من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾[3] [النساء/ ٥٩].

وأولي الأمر هم العلماء وهو إحدى الروايتين عن أحمد. والدعاة اليوم لا يقومون بمهمة تعليم الناس الخير فحسب وإنما يقومون بإعادة بعث دين الله على الأرض من جديد.

فإذا كان الإمام أحمد بن حنبل يقول عن العلماء في كتابه الرد على الزنادقة والجهمية ما يلي: الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون من هم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله العمي فكم من قتيل لإبليس أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم.

وجوب الدعوة :

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل إلى الناس كافة كما قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ [سبأ/٢٨].

ولما كان هو خاتم النبيين والمرسلين كما قال سبحانه: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب/٤٠].

وكما قال عليه الصلاة والسلام في حديثه: «أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي . . . ومنها . . . وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة».

فقد اقتضت حكمة الله وسنته أن تظل الدعوة إلى هذا الدين قائمة وتظل طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله. وعلى ذلك يكون الإسلام دين الأجيال، فهو دين الجيل الذي بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم ودين الأجيال بعده حتى يوم الدين.

وأنه لا تكليف من غير اعلام، ولا ثواب ولاعقاب من غير علم بالرسالة ودعوة اليها، فإذا كان الإسلام دينا عاما، ودينا خالدا يخاطب الأجيال كلها فلابد من معلمين داعين، ولابد من دعوة دينية مستمرة متجددة ينتقل فيها الدعاة بين البشر ليتحقق العلم بهذا الدين الحنيف الذي هو دين الله كما قال تعالى كلماته :

﴿ ان الدين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران : ١٩).

ان الله أرحم بعباده من أن يترك الناس من بعد رسوله خاتم النبيين بورا لا هادى يهديهم ، ولا داعى للحق يدعوهم إليه ، والعقول وحدها لا تكفى فى الهداية وقد ضلت العقول ، وتاهت الافهام تحت لجاجة الأهواء والشهوات ، وعندئذ يتخذ الناس الههم هواهم[1].

لذلك كانت دعوة النبى تكليفا لأمته ، ولقد صرحت بذلك الآيات البينات من كتاب الله تعالى ، فقد قال سبحانه :

﴿ قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ (يوسف : ١٠٨)

وقد دلت هذه الآية على أمور :

أولا : أن القيام بالدعوة تكليف لأمته ، لا يتخلى عنه مؤمن ، ولا يتركه أمين .

ثانيا : أن يكون الداعى له بصر بالأمور ، يأتيها من طرقها المسلوكة فى رفق ، لينافى دعوته يقول سبحانه :

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك ﴾ [آل عمران / ١٥٩].

يأتى الأمور من مصادرها وموارها وموارها مؤمنا بها ، على بينة من أمرها ، لا تأخذه فى الحق هوادة وليس للباطل عنده ارادة .

وان تلك الآية الكريمة فى جملتها ، تدل على أن الإيمان وحده لا يكفى فى اتباع النبى صلى الله عليه وسلم بل لابد لكمال الاتباع من الدعوة ، بل عليه لاجل الاتباع ان يسلك سبيله فى الدعوة الى الله وهو الهادى الى سواء السبيل ، فمن

اهتدى من بعد البيان فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها وما الله يريد ظلما للعباد.

والنصوص صريحة في مطالبة الأمة بالتبليغ كل على مقدار علمه وطاقته في التوجيه والارشاد .

يقول سبحانه :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾ (آل عمران : ١٠٤).

وهذه الآية تدل على وجوب التبليغ على الأمة كلها وجوبا فرديا وجماعيا . . كل على حسب معرفته وبهذا يكون وجوبا عينيا اذا لم تقم به جماعة . ويكون وجوبا كفاية اذا قامت به جماعة . وهذا مستفاد من معنى (من) في الآية الكريمة :

﴿ ولتكن منكم ﴾ فعلى أنها بيانية يكون المعنى ، ولتكونوا أيها المسلمون جميعا أمة داعية الى الخير ، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر فان ذلك هو أساس الفلاح هذا المعنى متلاق مع قوله تعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (آل عمران : ١١٠).

وذلك لا يمنع أن يتخصص بعض المؤمنين لتفقيه الناس في دينهم بعد أن دخلوا في دين الله تعالى كشأن كل امر واجب على الجماعة كلها ، يقوم به ، ويهدى الناس اليه ، وقد كان في كل جيل بعد النبي من يتعلم ومن يعلم ، أي من يعرف أصول الاسلام فيقوم بها ، ومن يستغنى عنده في العلم بما يجهله . وعلى تفسير (من) في قوله تعالى : ﴿ منكم ﴾ بأنها تبعيضة بمعنى بعض ، فالمعنى على هذا

يكون والله أعلم - ليكن بعضكم متخصصا في الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويكون هذا متفقا في مؤداه مع قوله تعالى :

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾ (التوبة : ١٢٢).

والفلاح في قوله تعالى : (وأولئك هم المفلحون). يكون مختصا بامة تدعو الى الخير ، وتفيض بالعلم على الانسانية ، كلها تدعو الى أعظم خير في الوجود ، وهو دين الله تعالى الحق وان الدين عند الله الإسلام .

وهنا قد يسأل سائل ، كيف تكون الدعوة عامة ، ومع ذلك نقول إنها فرض كفاية وفرض عين معا ، والجواب على ذلك أن التكليف عام ، بحيث يقوم كل بكفايته ، وما آتاه الله تعالى من علم ، ولا يخلى انسان نفسه من تبعه الدعوة والقيام بها ، بيد أن على الأمة واجبين :

أحدهما : ما يقوم به كل واحد يعينه فى الدعوة إلى الحق هاديا مرشدا .

ثانيهما : أن يخصص ناس لهذه الدعوة من الأمة يكون لهم فضل عام بكتاب الله تعالى ، وفضل كفاية بيانية ، وحكمة وادراك ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم عندما اختار مصعب بن عمير لأهل المدينة معلما مقرئا للقرآن ، وكما اختار بعد فتح مكة لقريش من يعلمهم أحكام الإسلام ، ويخرجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام وهديه(*) .

ثانيا : طريقة أعداد الداعاة :

وإذا كانت هذه هى مهمة الدعاة ومنزلة الدعوة وحاجة البشرية اليها ، فانه من الواجب الاهتمام بطريقة اعداد الدعاة وتحمل هذه المسئولية ، وذلك عن طريق

مركز عالمي للدعوة والدعاة يشرف على التخطيط والتنفيذ والمتابعة ويكون من مهامه :

١ ـ الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم.

٢ ـ الاهتمام بفقه الداعية ليكون على بصيرة.

٣ ـ بيان اهمية القدوة الحسنة في حياة الداعية.

١ ـ والاهتمام بتحفظ القرآن الكريم يجب أن يكون موصولا بكل المراحل التعليمية بحيث يبدأ من الكتاب ـ روضة الأطفال . . . الى المدرسة الابتدائية والاعدادية والثانوية والكليات على اختلاف تخصصاتها ما دمنا قد عرفنا أن الدعوة واجبة وجوبا عينيا على كل مسلم بحسب قدرته وطاقته ومجال تخصصه فيكون طبيبا وداعية ، أو مهندسا وداعية ، أو لغويا وداعية ، أو خطيبا وداعية ، أو مدرسا وداعية . . . الخ.

وبجانب حفظ القرآن الكريم تكون المعرفة بعلومه ، وعلوم السنة وفقهها . . .

٢ ـ أن تكون تربية الداعية على بصيرة : انطلاقاً من قوله تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾.

بصيرة : بالدعوة التي يدعو بها . . فيعرف أصولها وقواعدها وأساليبها ومناهجها، ويعرف أن الإسلام رسالة عامة تامة كاملة شاملة مثالية واقعية، صالحة لكل زمان ولكل مكان وللناس جميعاً ويعرف أن الإسلام كل متكامل عقيدة وشريعة وعبادة ومعاملة وأخلاق.

وبصيرة بالمدعو : فهو يراعي مقتضى الحال، ونوع أساليبه ومنهجه تبعاً لتنوع طبائع الناس واختلاف مشاعرهم وأحاسيسهم، ونوازعهم وعواطفهم ونفسياتهم وعقولهم وأحوال حياتهم وحياة الدعاة السابقين وعلى بصيرة بأمر نفسه . . . فهو يعرفها ويتعهدها بالتربية والتأديب والتهذيب ليكون قدوة حسنة وأسوة طيبة.

٣ ـ والقدوة الحسنة والأسوة الطيبة من عوامل النجاح في الدعوة . .
وهذا أمر الله المؤمنين بأن يكون قدوتهم وأسوتهم الداعية الأول محمد صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ . [الاحزاب / ٢١] .

وتتمثل القدوة الحسنة في اتباعه وفي التخلق بمكارم الأخلاق التي كمل الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم من العفو والصفح والحلم والجود والكرم والصدق والأمانة والطهر والعفاف والحياء . . وكل ما من شأنه تزكية النفس وصلاح الإنسان واستقامة الناس في هذه الحياة . . ويجمل هذا جواب السيدة عائشة رضي الله عنها حينما سئلت عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن .

ولقد ارتفع شأن الدعوة والدعاة حينما اتخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة لهم وأسوة، وحينما كانوا مثلاً رائعاً وشيوعاً مضيئة ونموذجاً يحتذى في القول والعلم والعمل . وحينما فقدت الدعوة القدوة الحسنة والأسوة الطيبة في بعض القائمين على أمرها ضعف شأن المسلمين . وانفصل الدعاة عن المدعوين . . فانصرف الناس عنهم .

ثالثاً : <u>وسائل الدعوة ومناهجها</u> :

ويعني بالمنهج طريقة التخطيط للوصول بالدعوة إلى قلب المدعو وتنوع هذه المناهج بتنوع أحوال المدعوين . . من منهج فطري إلى عاطفي إلى عقلي إلى علمي إلى منهج قوة للتمكين لدعوة الله في الأرض ولإعلاء كلمته ونعني بالوسائل أدوات التبليغ لتلك الدعوة سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية ومنطلقنا في ذلك قوله تعالى :ـ

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل / ١٢٥] .

والحكمة في اللغة بمعنى العدل، والعلم، والحلم، والنبوة والقرآن[٦] .

والحكمة: العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها ولهذا انقسمت إلى عملية وعلمية.

والحكمة إصابة الحق بالعلم والعمل[7].

وفي الشرع جاءت بأكثر من معنى ويجمعها «الإصابة في القول والعمل معاً وفي معنى قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.. ذكر المفسرون أن الحكمة هي القرآن والفقه به..

وعن ابن عباس في قوله: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ يعني المعرفة بالقرآن: ناسخه ومنسوخه. ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه. وأمثاله.

وقال آخرون. الحكمة. الفهم.. والخشية[8].

وعن مقاتل: أنها تفسر في القرآن بأربعة أوجه فتارة بمواعظ القرآن وأخرى بما فيه من عجائب الأسرار، ومرة بالعلم والفهم وأخرى بالنبوة.

ولعل الأنسب بالمقام ما ينتظم الأحكام المبينة في تضاعيف الآيات الكريمة من أحد الوجهين الأولين، ومعنى إيتاء الحكمة تبيينها والتوفيق العلم والعمل بها، أي يبينها ويوفق للعلم والعمل بها (من يشاء) من عباده.

وتعني الحكمة أيضاً العلم الصحيح، يكون صفة محكمة في النفس، حاكمة على الإرادة، توجهها إلى العمل، ومتى كان العمل صادراً عن العلم الصحيح كان هو العمل الصالح النافع المؤدي إلى السماح[9]. وهو الذي ينهض بأمر الدعوة ويرفع شأن الأمة ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ أوتي القصد والاعتدال فلا يفحش، ولا يتعدى الحدود، وأوتي إدراك العلل والغايات فلا يضل في تقدير الأمور، وأوتي البصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال وذلك خير كثير متنوع[10].

وعليه فإن نسبة العلوم إلى الحكمة كنسبة الأعضاء إلى الجسد[11].

كيف يستفيد الداعية من شروح الحكمة (مدلولاتها)؟ :

ويستفيد الداعية من شروح الحكمة ما يتخذ منه دعامة لدعوته على وجه العموم، وعلى وجه الخصوص، فإنه يستفيد من الحكمة القولية بشتى ضروبها نثراً وشعراً (فإن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة) «والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها».

وكذلك يستفيد من الحكمة العلمية كل تدبير من شأنه أن يجعل الداعية قدوة حسنة في أفعاله وأخلاقه ويجعله عند أهله محبوباً مسموع القول متبوع الرأي.

والموعظة الحسنة: عند علماء اللغة الوعظ والتخويف والعظة الاسم منه قال الخليل: هو التذكير بالخير وما يرق قلبه[12].

وقال الراغب في المفردات: الوعظ زجر مقترن بتخويف.

وقال الجوهري: الوعظ: النصح والتذكير بالعواقب فهو إذاً إخلاص للمنصوح له في القول وتذكير له بالعواقب وأما الفيروزآبادي فيقول: «وعظه يعظه وعظاً وعظة وموعظة: ذكره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ ونلمح من خلال هذا التعريف عنصري الترغيب والترهيب أو التبشير والإنذار.

وعند المفسرين: يقول الطبري عن الموعظة: هي العبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه وذكرهم بها في تنزيله[13].

ويقول القرطبي: أمره أن يدعوا إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف[14] والموعظة الحسنة: وهي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها. قيل وهي الحجج الظنية الاقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة قيل وليس للدعوة إلا هاتان الطريقتان[15].

وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية، فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ[١٦].

العلاقة بين الحكمة والموعظة الحسنة :

وعلاقة الحكمة بالموعظة الحسنة علاقة تأكيد وتكميل، فليس المقصود بالموعظة الحسنة، مجرد الإثارة للشعور والوجدان، وإهاب العواطف دون إعمال فكر أو روية، وبلا وعي وفهم للحقائق والقضايا، والتميز بين الحق والباطل فيهما، فلا فائدة من عاطفة عمياء لا يقودها عقل ولا في عقل مجرد لا يقوم على عاطفة ترغبه وترهبه والإقناع المجرد لا يكفي وحده للإنصياع للحق والخضوع له، بل لا بد من ترويض النفس وتهذيبها حتى تخضع للحق وتنقاد له.

فالإنسان جسد وروح، وعقل وعاطفة، لا يستغني أحدهما عن الآخر، والحكمة بمعناها اللغوي تتصل اتصالاً تاما بالموعظة الحسنة، ويتوقف نجاح هذا الأسلوب على استعمالها، وذلك بأن يوضح كل شيء في مكانه وزمانه المناسب فلكل مقام مقال.

فليس الحكمة أن يخاطب الداعي للناس بما هو فوق عقولهم ويكثر عليهم حتى يملوا، لا سيما وأن النبي عليه الصلاة والسلام قد أمر أن يخاطب الناس على قدر عقولهم وكان يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم.

وكذلك ليس من الحكمة أن يفرط الداعي في ترغيب أو ترهيب بل يوازن بينهما، ويتوسط في الإنذار والتبشير.

وليس من الحكمة كذلك أن يدعو الناس إلى الصبر وهو متعجل في حديثه، ولا أن يدعوهم بالرفق وهو متغيظ في كلامه.

والمتأمل في القرآن الكريم يجد نماذج كثيرة لجدال الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم مع أقوامهم، إذ إن البشر يختلفون اختلافاً كبيراً في ميولهم واستعدادهم ومداركهم وبيئاتهم.

ولقد جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة كما جادل أهل الكتاب في المدينة ولكنه سلك معهم ألطف السبل وأفضلها في ذلك لأن الهدف منه إظهار الحق وتأييده ودفع الباطل ودفعه فمن أبطل دعوى الخصم فهو مجل جيد، يدفع كيد أعداء الله . . ويعلي كلمة الله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الناس بالنسبة للدعوة ثلاثة أصناف: صنف عرف الحق ويعمل به وآخر يعرف الحق ولا يعمل به، وثالث يعرف الحق ولكنه يصد عنه ويحاول أن يقف في طريقه.

فالأول يدعي بالحكمة، والثاني يذكر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثالث يجادل بالتي هي أحسن[١٣] والجدل أمر تدعو إليه الحاجة في كثير من المواعظ والداعية الناجح، لا بد أن يأخذ بمنهج الجدل كما جاء في القرآن والسنة لأنه أقرب إلى قناعة العقول ويرضي النفوس.

والجدل بالتي هي أحسن ـ بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له، ولا تقبيح، حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه الغلبة في الجدل ولكن الإقناع والوصول إلى الحق فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها.

والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها

والاهتداء إليها في سبيل الله لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر . . فلا ضرورة للحاجة في الجدل إنما هو البيان والأمر بعد ذلك لله[١٨] .

وبعد :

فإذا أردنا النهوض بالدعوة الإسلامية فيجب أن يكون اهتمامنا بفقه الدعوة ومنزلتها وبيان مهمة الداعية وإعداده إعداداً سليماً على منهج كتاب الله وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم عن طريق القدوة الحسنة والأسوة الطيبة ، وأن يعاد النظر في وسائل الدعوة ومناهجها ، لتعود إلى سالف عهدها ، يوم حملها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم وسلف الأمة الصالح ، فأصبحت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، ومكن الله لدينه في الأرض . . وذلك بفضل الإيمان والعمل الصالح والاعتصام بحبل الله . والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ .

وقوله سبحانه : ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الهوامـــــش

(١) ابن القيم : إعلام الموقعين ج ١ ص ١٠ .

(٢) رواه الخمسة . أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وصححه ابن حبان والحاكم . لأنها كشف الخفاء ومزيل الالباس عما أشتهر من الأحاديث على السنة الناس ٢ /٨٣ .

(٣) إعلام الموقعين ١/٩ .

(٤) الشيخ محمد أبوزهرة : الدعوة إلى الإسلام ص ٢٣ .

(٥) المرجع السابق ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٦) الفيروز أبادي : القاموس المحيط ج ٤ ص ٩٨ .

(٧) الزبيدي : تاج العروس ٨ / ٢٥٣ .

(٨) تفسير الطبري ٣/ ٦٠ .

(٩) تفسير المنار الشيخ رشيد رضا .

(١٠) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب .

(١١) المفردات للراغب .

(١٢) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة .

(١٣) جامع البيان ١٢ / ١٩٤ .

(١٤) الجامع لاحكام القرآن ١٠ / ٢٠ .

(١٥) الشركاني : فتح القدير ٣/ ٢٠٣ .

(١٦) سيد قطب في ظلال القرآن ٤/ ٣٠٢ .

(١٧) شيخ الإسلام ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .

(١٨) في ظلال القرآن ج ٢٢ ص ٢ .

obeikandl.com